

المسكن بقصور شمال الصحراء الجزائرية (الميزات الأثرية والمعمارية)

## Archaeological and architectural features of the traditional houses in the ksour of the northern Algerian sahara

لبتر قادة<sup>1</sup>، بلقرنين عبد القادر<sup>2</sup>

<sup>1</sup> قسم علم الآثار جامعة تلمسان (الجزائر)، labtararch@gmail.com

<sup>2</sup> قسم الإنجليزية (شعبة الترجمة) جامعة تلمسان (الجزائر)، belguernine.abdelkader@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/10/15 تاريخ القبول: 2022-02-02 تاريخ النشر: 2022-02-15

**ملخص:** يمثل المسكن أهم وحدة معمارية في العمارة التقليدية والأثرية، حيث يرتبط بالمستوى الثقافي والاجتماعي لسكانه ومن شغله، وخاصة في المجتمع الصحراوي بالجزائر في الشريط الشمالي لها، أين تنتشر القصور الصحراوية المشيدة في مواقع إستراتيجية، تميزت بمراعاة الخصائص الطبيعية والمتغيرات البيئية، والأعراف الثقافية والاجتماعية لمن قام ببنائها، من خلال هذه الدراسة سنحاول إبراز الميزات الأثرية والمعمارية لأهم وحدة معمارية في المنظومة العمرانية للقصور بشمال الصحراء الجزائرية، والتي تشمل عدة أقاليم جغرافية، بالاعتماد على الدراسة الميدانية والمقارنة بينها، حيث لاحظنا التشابه الكبير في التخطيط العام والاختلاف من حيث مواد وتقنيات البناء حسب جغرافية المنطقة.

**الكلمات المفتاحية:** المسكن التقليدي؛ القصر الصحراوي؛ الجزائر؛ الخصائص الأثرية؛ الخصائص المعمارية.

**Abstract :** The house represent the most important architectural unit in traditional and archaeological architecture, where it is related to the cultural and social of its population and occupation, especially in the sahara of Algeria in its northern Strip, where the Ksours in strategic locations are spread, characterized by taking into account the natural characteristics and environmental variables, and the cultural and social norms of those who built them. through this study, we will try to highlight the archaeological and architectural features of the most important architectural unit in the urban system of Ksours in the northern. We relied on field study and comparison, where we noticed the great similarity in the overall planning and differences in terms of materials and construction techniques as the geography of the area

**Keywords:** traditional houses; Ksours ; Algeria; archaeological features; architectural features.

المؤلف المرسل: لبتر قادة، الإيميل: [labtararch@gmail.com](mailto:labtararch@gmail.com)

1- مقدمة :

المعلم التاريخي هو كل ما تخلف عن العصور الماضية من آثار العمران والعمارة، كالمدين القديمة وأطلال هذه المدن، تؤلف هذه الآثار والمخلفات جانبا هاما من جوانب التراث الحضاري، ويعتبر هذا التراث صلة الوصل بين الأمة وماضيها، أما المفهوم الحالي للمعلم التاريخي فيعتمد على ميثاق البندقية لعام 1964- وخاصة المادة الأولى- التي جاء فيها انه لا يشمل فقط العمل المعماري الواحد، بل يشمل أيضا الموقع الحضري أو الريفي الذي يكشف فيه عن دليل حضارة معينة أو تطور مهم أو حدث تاريخي معين، ولا ينطبق هذا فقط على الأعمال الفنية القيمة بل أيضا على الأعمال القديمة الأكثر تواضعا التي اكتسبت أهمية ثقافية مع مرور الزمن.

من خلال ما سبق؛ يعتبر القصر الصحراوي من أهم المعالم التاريخية التي تعبر عن مدى قدرة الإنسان على الانسجام وتكييف محيطه لما يستجيب ومتطلباته، استعمل مصطلح القصر الصحراوي للدلالة على أنه تجمعات سكنية أهلة بالسكان أو هجرت من طرف أصحابها لتصبح مباني ومعالم تاريخية، وهو حسب بعض الباحثين مدينة محصنة بموقعها أو بواحاتها (victor,1862, p.162).

والقصر الصحراوي أيضا هو تجمع لمجموعة بشرية ذات مصالح واحدة سواء في وقت السلم أو في وقت الحرب للاحتماء عند هجوم العدو، أي أن القصر الصحراوي هيكل عمراني لمجموعة من الناس في موضع يتوفر على متطلباتهم المتجانسة والمترابطة في الدم والعقيدة والثقافة (عقاب، 2007، الصفحات 20-21)، أما عن مورفولوجية القصر، فهو عبارة عن كتلة بنائية تمتد أفقيا ذات علاقة مباشرة بواحة، ومرتبطة بتوفر المصادر المائية.

لا يختلف مفهوم القصر في الجزائر عما سبق، وبالتالي فمضمون كلمة قصر، لا تعني مسكن الأمير أو مسكن الملك كما هو معروف بل تعني حياة الاستقرار، اختلفت تواريخ تشييد القصور بالجنوب الجزائري بين المؤرخين والمختصين، مما أدى إلى كثرة الآراء، حيث يمكن تقسيم أصول عمارة وعمران القصور الصحراوية الجزائرية إلى صنفين، فمنها التي شيدت قبل وصول الإسلام إلى المنطقة، ومنها ما بني في فترات متأخرة بعد وصول الإسلام إلى المنطقة وهي القصور التي تعتمد على تخطيط المدينة الإسلامية، متمثلة في وجود العمارة الدينية كالمسجد والزوايا، حيث تميل في هذه الفترة إلى الاقتراب من انتظام الشكل، وهو نمط عمارة غالبية القصور المنتشرة في الجنوب الجزائري، وخاصة في شمال الصحراء.

## المسكن بقصور شمال الصحراء الجزائرية (الميزات الأثرية والمعمارية)

يعتبر المسكن التقليدي بالقصور الصحراوية الجزائرية أهم وحدة معمارية، تعبر عن الفكر العمراني لمن قام ببنائه رغم اختلاف تاريخ تشييدها، سنحاول من خلال هذه الدراسة إبراز أهم المظاهر المعمارية والظواهر الأثرية للمسكن التقليدي بالمنطقة، بالاعتماد على الزيارة الميدانية وبعض الدراسات الميدانية لمجموعة من الباحثين لثلاث أقاليم شمال الصحراء الجزائرية، حيث نهدف من البحث الوصول إلى نوع الطرز المعمارية من الناحية الأثرية والتقنية لهذه المساكن، ومدى التوافق والانسجام بينها رغم علمنا المسبق باختلاف الثقافات لمن قام بتشييدها، وتباعد الرقع الجغرافية بينها والتباين الكبير في التركيبة الجيولوجية والتضاريسية بينها.

### 2. المدلول العام للمسكن :

هناك اختلاف في تسمية المسكن بين الباحثين فنجد البيت والمنزل الذي هو من نزل أو بيت بفتح الباء وتشديد الياء، وهو مصطلح عربي وظف بدل المسكن، استخدم لوصف وحدة سكنية داخل القصور ومساكن الصحراء، يقال بات الرجل عند أهله أي صار عندهم، والجمع أليات وبيوت، وجمع المسكن سكنات ومساكن، والساكنة قاطنيها، والبيت والمسكن والمنزل عامة ما يسكن وينزل ويؤوى إليه، قال تعالى: " وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ " (سورة النحل الآية 68)، سمي الله عز وجل البيت سكنا أي موضعا للراحة فقال بسورة النحل: " وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۚ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ " (سورة النحل الآية 80) .

البيت في معناه العام هو كل مسكن حضاري من حجر أو آجر أو خشب أو نسيج أو جلد أو صوف أو وبر، وقد أخذت البيوت العربية عدة أسماء اختلفت باختلاف مادة بنائها، فكان منها الخباء من الصوف، ومنها المبني بالحجر المشدود بالطين والملاط، كما اختلفت مواصفاتها وعناصرها الإنشائية ومرافقها، أما عن مصدر تخطيط البيت فهناك اختلاف بين الباحثين فمنهم من يرجعه إلى الإغريق أو إلى الرومان أو إلى الحضارات الأخرى البائدة، لكن مع الإسلام تطور البيت والمسكن وأصبح له خصوصيته من حيث الطابع المعيشي والإنشائي والزخرفي المميز.

### 3. الميزات الأثرية والمعمارية للمسكن بقصور شمال الصحراء الجزائرية:

## لبتر قادة ؛ بلقرنين عبد القادر

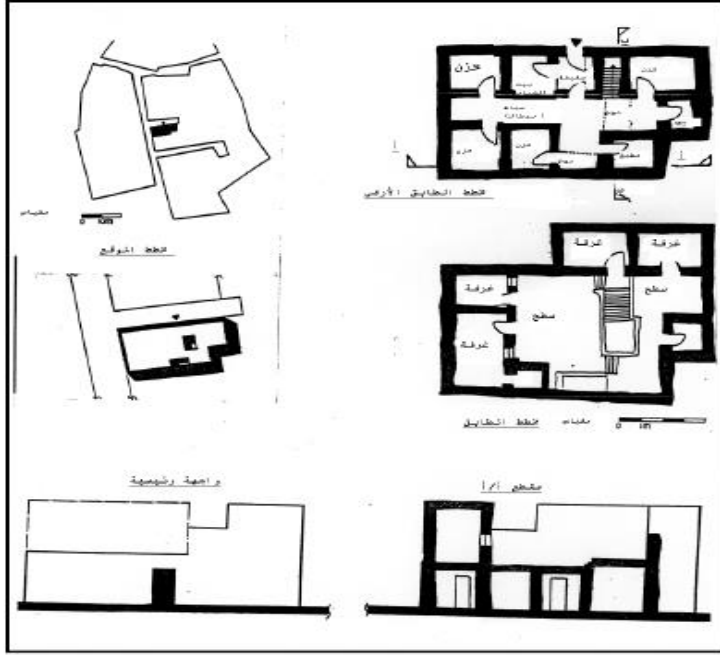
قمنا بدراسة المساكن التقليدية بشمال الصحراء الجزائرية حسب الموقع الجغرافي للقصور التي تنتمي إليها، والموزعة على ثلاث أقاليم جغرافية هي الساورَة بالجهة الغربية، وسهل وادي مزاب بالوسط، ووادي ريغ بالجهة الغربية.

### 1.3. المسكن التقليدي بالجنوب الشرقي:

1.1.3. المخطط المعماري (الشكل رقم 01): يتكون المسكن التقليدي بالمنطقة من عدة فضاءات تمثلت أساسا في:

- المداخل الرئيسية حيث غالبا ما تكون مغطاة وتؤدي إلى بيت الضياف هدفها المحافظة على حرمة الساكنة.
- السقيفة الداخلية تؤدي مباشرة إلى الفناء أو الحوش الذي تنتظم حوله غرف المسكن.
- بيت الضياف : هو غرفة مستطيلة تقريبا تستعمل لاستقبال الضيوف وعادة توجد بعد مدخل المسكن أي لها ارتباط مباشر مع السقيفة.
- الإسطبل : عبارة عن مساحة مغطاة تستعمل لتربية الحيوانات التي يملكها صاحب المسكن.
- الفناء أو الحوش هو فضاء معزول يكون عادة مستطيل الشكل، له عدة وظائف منها إعداد الأكل ، الالتقاء، الغسيل، الخ ، وهو كذلك مكان للعب الأطفال بالإضافة إلى الوظيفة الاجتماعية له وظيفية مناخية تتمثل في الإضاءة، التهوية، وتخفيض وتعديل درجات الحرارة داخل مساحة المسكن.
- السباط وهو الجزء المسقوف من الفناء.
- غرفة المخزن عادة ما تكون مع محيط الفناء وتستعمل لتخزين المؤن. والمنتجات الفلاحية وخاصة التمور.
- المطبخ هو مرفق يستعمل لتجهيز الأكل، ويحتوي على مكان الموقد.
- الغرف : تتوزع على الطوابق في حال ما تكون المسكن من طابقين أو أكثر ، غالبا ما تكون مستطيلة تماشى وحجم الخشب المستعمل في التسقيف كما هو مبين في الأشكال أسفله.
- السطح وهو مكان مخصص لعدد من الوظائف اليومية والموسمية لساكنة القصر الذي يقع به المسكن.
- الكنيف أو دورة المياه بالمفهوم الحالي (عبارة عن حفرة مربعة أو مستطيلة الشكل تستخدم كمجمع للفضلات، وتحاط جوانبها بالحجارة، فيما يستعمل جذع النخيل في تسقيف الحفرة إلى جانب الحجارة الصغيرة، لتترك فتحة صغيرة تأخذ الشكل المستطيل، لبنى فوقها المراض في مرحلة أخيرة)

## المسكن بقصور شمال الصحراء الجزائرية (الميزات الأثرية والمعمارية)



الشكل رقم 01: نموذج مخطط المسكن بوادي ريغ

المصدر ارزقي بوخنوف ، تشخيص الطوب المشكل لحيات قصرى النزلة وتماسين ولاية ورقلة، دكتوراه في علم الآثار تخصص صيانة وترميم، معهد الجزائر، 2012.

### 2.1.3. مواد وتقنيات البناء بمساكن المنطقة:

تنوعت مواد البناء التي استعملت في المساكن بالمنطقة من طوب، آجر وحجارة جعلها تنعكس انعكاسا واضحا على ارتفاع وسمك الجدران، لذا تنوعت طرق بنائها حيث نجد في بعضها الجمع بين أكثر من تقنية ومادة وذلك بهدف تحسين متانة المبنى أو لتحقيق غاية جمالية. من بين التقنيات المستعملة نجد:

## لبتر قادة ؛ بلقرنين عبد القادر

- تقنية بناء السلالم: اسمها المحلي " دروج"، وهي تربط الطابق الأرضي بالطابق العلوي .نجدها غالبا وحيدة الاتجاه، وتشكل فيها جذوع النخيل المستوى المائل الذي يغطي بملاط ثم تبنى عليه الدرجات بواسطة الطوب .يتراوح عرضها بين 80 و 90 سم.
- تقنية استعمال الأقواس: فقد كانت تشكل بواسطة قوس مكون من مجموعة من عصي النخيل الخضراء التي تربط على طرفي الجدار والدعامة، بحيث يستند على قطعتي خشب ثم يبنى الطوب بطريقة متراصة ويثبت بملاط، بعد أن يجف، ينزع السند وعصي النخيل
- تقنيات التسقيف : استعمل في تسقيف المساكن بالمنطقة خشب النخيل جذوع النخيل والسعف والتربة الطينية والرمل والتبشمت .ويتم ذلك إما بواسطة القباب ذات الشكل المستطيل أو نصف الكروي أو الأسطح المستوية، ويتمثل دور القباب في تخفيض درجة الحرارة خاصة صيفا، حيث أن الهواء الساخن داخل الغرف يصعد إلى الأعلى في حين يبقى الهواء البارد في الأسفل، كما أن لها دور آخر يتمثل في منع تراكم الرمال التي تحملها الرياح، زودت بعضها بفتحات مغطاة بقطع زجاجية تسمح بالإضاءة داخل المبنى ولها دور هام في عزل الصوت،إن تقنية القباب تقلل من استعمال الخشب في التسقيف، ويكون الهيكل أكثر صلابة وتحملا للثقل وأقل عرضة لتأثير القوى الخارجية، في التسقيف المسطح، تستعمل جذوع النخيل وسعفها والتي تغطي بخليط من التربة ثم بطبقة من التبشمت (بوخنوف، 2012، الصفحات 48-58).

### 2.3. المساكن التقليدية بوسط شمال الصحراء الجزائرية (واد مزاب):

#### 1.2.3. المخطط المعماري (الشكل رقم 02):

تتميز المساكن التقليدية بالمنطقة بتخطيط يتكون من طابق أرضي وطابق أول وسطح (معروف؛ جودي، 2012، الصفحات 72-75) ، وقد نجد في بعضها طابق سفلي أي دهليز، حيث لا يتعد

## المسكن بقصور شمال الصحراء الجزائرية (الميزات الأثرية والمعمارية)

معدل علو المسكن 7.50م (ديوان حماية وترقية وادي ميزاب، الصفحة 8) ، فيما يغلب على هذه المساكن شكل مخططها المستطيل إلى جانب مساكن أخرى ذات مخطط غير منتظم (قرميدة، 2001، الصفحة 6) ، والشكل تحدده وتتحكم فيه بنية الأرض ذات الطبيعة الصخرية في الغالب.

تميزت مساكن بتواجد المدخل المزود بباب مصنوع من عوارض خشب النخيل في إحدى الزوايا كما هو الحال في مساكن شمال إفريقيا (Michel, 1987 , p. 77) ، كما زود الباب بقفل تقليدي شاع استعماله في الصحراء المصنوع كليا من خشب النخيل، يتصل المدخل الرئيسي بالسقيفة، والتي تعد مساحة فاصلة بين عالمين مختلفين سعى الإسلام للفصل بينهما لما فيهما من خرق لخصوصية الأسرة ممثلة في العنصر النسائي، وهو من نوع المداخل المنكسرة ومحليا يسمى إمي (Queliec, 2006, p. 82) ، يلي السقيفة رواق مدخل الدار الذي هو فضاء للانتقال إلى وسط الدار يستغل في العادة للقيام برحي الحبوب كالقمح بواسطة رحي مثبتة في ركن منه (Mercier, 1932, pp. 248-251).

ننتقل مباشرة من السقيفة إلى وسط الدار "أماْس نِدار" أو عبر رواق "تُهجة" في بعض المساكن، حيث يعتبر الفضاء الرئيسي في المسكن، تبعا لشكله ومقاييسه وتوزيعه وهيكلته لمختلف الفضاءات فيه، إضافة إلى كونه شبه مغطى إلا من خلال فتحة الشباك، وهي فتحة تصل الطابق الأرضي بالطابق الأول ومنها تنزل أشعة الشمس ويتجدد الهواء (سعيد، 1992، الصفحة 88)، كما يحمل سقفه دعائم تتوسطه بشكل يوافق زوايا الشباك، وفي بعض الحالات تحل محلها أعمدة يتراوح عددها بين اثنتين إلى ثلاثة.

تتوزع حول وسط الدار عدد من الغرف (يصل عددها إلى ثلاثة، وفي النادر أربعة غرف، ويتخلل جدران الغرف عدد من الكوات عوضت الأثاث الخشبي والخزانات، ويتقدم باب الغرفة عتبة صغيرة وأحيانا يكون مستوى الغرف مرتفع عن مستوى أرضية وسط الدار)، ولكن أول ما يلفت انتباه الداخل للمسكن المزاي بعد تجاوز السقيفة تلك القاعة المميزة الخاصة باستقبال النساء من الضيوف "تِيْزْفْري" حيث نجد لها منعزلة (Ravéreau, 1981, p. 124) بشكل يسمح للنساء أن يجتمعن، وأكثر ما يميزها مدخلها العريض نوعا ما (سعيد، 1992، الصفحة 88).

## لبتر قادة ؛ بلقرنين عبد القادر

تتميز الغرف بانخفاض مستوى سقفها بحيث أن مجال الرؤية ونحن جلوس يساوي مقدار مجال الرؤية ونحن جلوس على كراسي في البيوت الغربية (Quellec, 2006, p.82)، ويراعى في توزيع أفراد العائلة على هذه الغرف خاصة الموجودة بالطابق الأول مكانة الفرد بالنسبة لهذه الأسرة، فالأكثر سنا أي الجد والجدة تخصص لهم غرفة في هذا الطابق مراعاة لسنهما الحرجة، أما العرسان الجدد فتخصص لهم غرف بالطابق الأول (بوزيد، دورة جوان 1989، الصفحة 99)، ويزود بعض الفضاءات بعدد من الكوات والرفوف لوضع الأواني (Bonete, 1959, p.64).

يوجد الكنيف "أجْمِيز" عموما في مؤخرة وسط الدار (قرميذة، 2001، الصفحة 28)، ويكون ملاصق للجدار الخارجي للمسكن أين يسهل إفراغ الخزان من الفضلات، وفي العادة هناك مساحة مجاورة للكنيف مخصصة للغسل تسمى مطهرة ولكن منفصلان عن بعضهما، وليس بها باب بل ستارة ذلك أن تصميمها المعماري صيغ بشكل يمنع الرؤية من الخارج إلى الداخل.

نصعد إلى الطابق الأول من خلال درج يختلف شكله من مسكن إلى آخر ويوجد في أحد زوايا وسط الدار، حيث المساحة المغطاة فيه لا تتجاوز نصف مساحة الطابق الأرضي، ويضم الجزء المغطى مرافقا كتلك التي توجد في الطابق الأرضي تلتف حول الشباك، في بعض الأحيان نجد إلى جانبها غرفة استقبال الرجال التي تسمى في هذه الحالة بالمزايبة "لَعْلِي" بهذا الطابق، ويتقدم الكل رواق محمول على أقواس ودعامات يسمى محليا "إِيكُومَار" تكون مفتوحة على السطح أي الفناء المكشوف والمسمى تغرغت، فيما يتراوح عددها من رواق إلى رواقين وفي بعض الأحيان يصل إلى ثلاث أروقة وتوجه نحو الجنوب-الغربي والجنوب-الشرقي لاستغلال أشعة الشمس في فصل الشتاء، كما يسمح هذا التوجيه بتسرب أكبر قدر من ضوء الشمس إلى الطابق الأرضي من خلال فتحة شباك وسط الدار، وتحول إليه جل الأنشطة كالمسح، كما يضم مطبخ ثاني لهذا الغرض، ففي الساعات العابرة من صباح اليوم التالي وكذا المساء تصبح مقصورات لأهل المسكن، فيما يتباين تجهيزها من مسكن إلى آخر لكنها مهيأة بأقل دقة من نظيرتها في باقي حواضر المغرب (Ravéreau, 1981, p.125)

تتوزع الغرف بهذا الطابق حول فناء واسع (Bisson, p3) مكشوف يسمى تِيغَرُغَرْتُ، ويزيد عددها في بعض الحالات عن ثلاثة غرف، وهي غرف مخصصة للنوم (سعيد، 1992، الصفحة 89)

## المسكن بقصور شمال الصحراء الجزائرية (الميزات الأثرية والمعمارية)

يسكنها الأبناء المتزوجين (قريدة، 2001، الصفحة 40)، ولا يخلو مسكن من مساكن مزاب في الطابق الأول من مخازن مبنية يسمى الواحد منها بالمزابية "باجو" أو "تخيت". (سعيد، 1992، الصفحة 117)

زود هذا الطابق هو الآخر بكنيف ومطهرة على نفس المسقط العمودي مع نظيرتها بالطابق الأرضي، وهذا تسهيلا لعملية تجميع الفضلات والماء المستعمل، ووجودهما بالطابقين راجع إلى الاستعمال المتوازي لكليهما. يتوج المسكن في الأخير بسطح يسمى محليا "تَمْنَايْتُ" (ديوان حماية وترقية وادي ميزاب، ص8)، ويتشكل أساسا من مساحة أسطح المرافق المسقوفة للطابق الأول، بحيث تكون مستوياته متباعدة تبعا للأرضية التي أنشئت عليها هذه المساكن، ويكون عموما في المساكن التقليدية خالي من أي بناء إلا في بعض الحالات، حيث يخصص منه لبناء بعض الغرف المكشوفة للنوم فصل الصيف، بالإضافة لتخصيص فضاء صغير لحزن الخطب، وأحيانا أخرى يخصص فضاء لتربية الدجاج، كما يحاط السطح بنوع من جدران التحويط ارتفاعها يتراوح بين 0.80م و2.20م كأقصى حد (قرميذة، 2001، الصفحة 41)، في الأجزاء الموالية للشارع والجيران بهدف حجب الرؤية إلى داخل المسكن (معروف بالحاج، 2012، الصفحات 72-75)



الشكل رقم 02: نموذج للمسكن التقليدي بواد مزاب

## لبتر قادة ؛ بلقرين عبد القادر

**المصدر :** معروف بالحاج، محمد جودي، النسيج العمراني لمدين وادي مزاب، مجلة منبر التراث الأثري،  
مخبر التراث الأثري وتشمينه، جامعة تلمسان، العدد الأول، 2012

### 2.2.3. مواد وتقنيات البناء:

نظرا لطبيعة المناخ في منطقة وادي مزاب، والذي يتميز بتغير كبير لدرجات الحرارة، أجبر سكان المنطقة على استعمال واستغلال مواد البناء المحلية المتوفرة في الطبيعة لتناسبها مع متطلبات المتانة والعزل دون إهمال الناحية الجمالية.

تعد الحجارة من المواد الأساسية في تشييد المساكن في وادي مزاب، لكثرة المقالع المنتشرة على ضفاف الوادي وهي عبارة عن حجارة كلسية مقاساتها مختلفة (زعابة، 2016، الصفحة 104 ) ، يتم استخدامها دون تهذيب في بناء الجدران والدعامات، أما الصفائح المستوية منها تستخدم للفتحات أو توضع لتبليط أرضية السطح.

كما يستعمل التيشمت وهو نوع من الجبس، لونها مائل للاحمرار بالمنطقة، تنتشر محاجرها في ضفاف وادي مزاب، يسمى أهل المنطقة الحجر الأصلي لها ب : قدام أو حجر الكاف، يحرق بأفران خاصة، وقودوها النباتات الصحراوية اليابسة، توضع من خلال نفق دائري على شكل قبة تدوم عملية الحرق حوالي 24 ساعة، تتحول خلالها كتل الحجر إلى قطع متفتتة (جودي، 2014، الصفحة 138) ، كما يستعمل الجير والتراب الممزوج بالحصى لبناء بعض المستويات من المسكن، أيضا يستعمل في الدعم والتسقيف النخيل و كل أجزاءه من جريد وسعف لتوفر واحات المنطقة عليه.

أهم التقنيات المستعملة في بناء المساكن بالمنطقة تقنية المزج والتقنيات المتناوبة بين مجموعة من أنواع مواد البناء، أما التسقيف استعملت عدة أنواع من التقنيات وخاصة الأقبية وذلك لتوزيع الثقل بشكل متساوي مع الجدران، أما تقنيات التلبس فتكون باستعمال ملاط التيشمت والرمل أو ملاط الجير، والهدف منه سد الثغرات الموجودة بين الحجارة نظرا لعدم انتظام شكلها وإعطاء الجدران شكلا متساويا .

### 3.3. المساكن التقليدية بقصور الجنوب الغربي:

### المسكن بقصور شمال الصحراء الجزائرية (الميزات الأثرية والمعمارية)

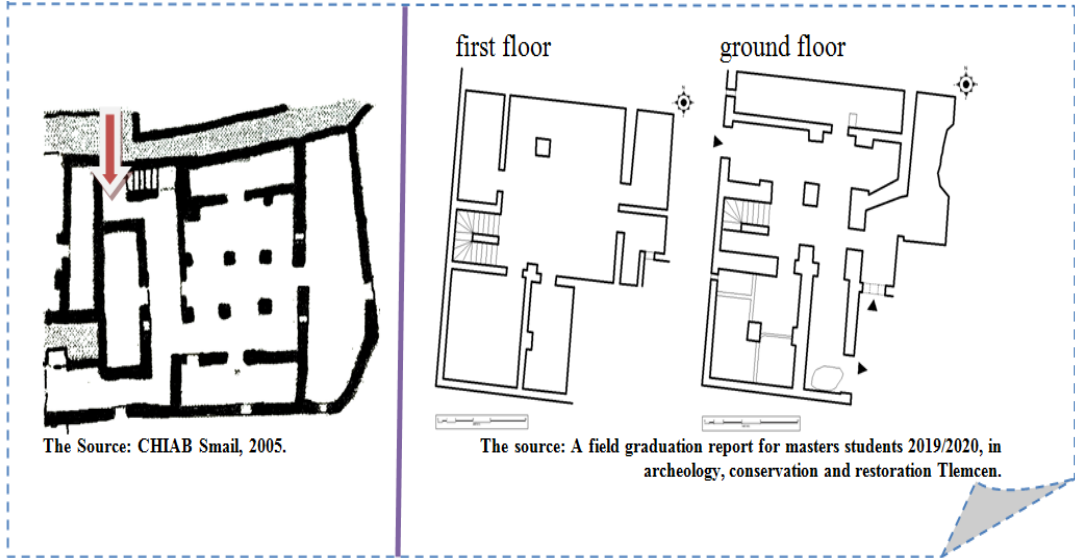
تنوعت العمارة بقصور الجنوب الغربي الجزائري وتحديدًا بمنطقة شمال الساور، حيث شهدت المنطقة تنوعًا وزخمًا معماريًا نتج عن التنوع الثقافي الكبير بالمنطقة، إضافة إلى التأثيرات والتبادلات العمرانية بينها وبين مناطق مجاورة، كون المنطقة حدودية وواقعة في مسار أهم الطرق التجارية التاريخية، من خلال هذا العنصر سنحاول التطرق لأهم السمات المشتركة بين المساكن التقليدية بقصور المنطقة.

#### 1.3.3. مخطط المسكن (الشكل رقم 03):

قبل أن نصل إلى باب المسكن نمر عبر سقيفة أو رواق منكسر خارجي طوله ما بين 1.5 إلى 2 متر ، أما عن واجهة المساكن فهي بسيطة بساطة من قام ببنائها، لا تحتوي على زخارف أو على فتحات إلا المساكن المكونة من طابقين وهي قليلة في المنطقة، في ما يخص حالة هذه المساكن فهي متدهورة ونادرا ما نجد المسكن مكتملا من جميع أجزائه.

ندخل المسكن عبر أبواب مصنوعة من خشب النخيل، كما زود الباب بقفل تقليدي يسمى محليا بـ تاغلبت .

نجد مباشرة بعد المدخل فضاء مخفور يسمى المظمورة، ورائه مباشرة الفناء أسواريس أو تاسيريت، تتوسطه أنظمة دعم مربعة طول ضلعها 0,80 م، من خلال الفناء نستطيع الدخول إلى مكونات المسكن الأخرى وهي الغرف تسمى محليا لبيوت، كما نجد غرفة الضيوف المعزولة عن بقية الغرف .



## لبتر قادة ؛ بلقرين عبد القادر

### الشكل رقم 03: نموذج مخطط المسكن بشمال الساوره

غالبا ما يكون في أحد أركان الفناء مكان الطهي (الفرن التقليدي) الكوشة، تعلوها مدخنة تمتد إلى أعلى جزء من المسكن ، استعمل جريد النخيل الأخضر في تغطية جزء من الفرن لمنع الحشرات والحيوانات الصغيرة من الدخول إليه.

احتوت كل المساكن في على دورات للمياه أو الكنيف، يتشكل معماريا من جزأين، الجزء الأسفل أو الحفرة تسمى أداي، والجزء الأعلى يسمى أنج، حيث تستعمل الفضلات المتراكمة والرماد كسماد لبساتين الواحة، نادرا ما نجد أكثر من كنيف واحد في المنزل إلا في بعض الحالات للمنازل الكبيرة، أغلب المساكن تتكون من طابق أرضي وسطح وهو فضاء مفتوح أعلى المنزل نصد إلى من خلال درج وسلم في ركن المسكن يأخذ المساحة الكلية للمنزل، تستغل منه بعض المساحات لأغراض التخزين أو النشر أو تربية الدواجن، يحاط السطح في جهاته الأربع بسور لا يتعد ارتفاعه النصف متر (0.50 متر)، يستعمل السطح للنوم ليلا في فصل الصيف أين تشتد درجات الحرارة ، كما تستعمله النسوة لتجفيف الملابس والحبوب نهارا، أما الأطفال فيعتبرونه المكان الأمثل لممارسة ألعابهم المختلفة وخاصة الإناث، توجد بعض الحالات لمساكن من طابقين . نصد إلى السطح من خلال درج، في منتصفه استراحة تحتها مباشرة مكان تخزين وقود النار مفتوح إلى الخارج عن طريق فتحة صغيرة.

. معظم الجدران في مساكن القصور بالمنطقة تحوي على كوة متناسقة في وضعها مما يشكل نوعا من الزخرفة.

. نجد أسفل الجدران أماكن الراحة ، ولها دور آخر أيضا هو ضمان تماسك الجدار من الجهة السفلية وحسب بعض مشايخ المنطقة استعملت أيضا في فصل الصيف للنوم.

### 2.3.3. مواد وتقنيات البناء:

تميزت المساكن بقصور المنطقة باستعمال مواد بناء متنوعة متماشية مع تقنيات كانت سائدة في تلك الفترة، وقد خضعت هذه المواد في عملية اختيارها لعدة عوامل نذكر منها: وفرتها وملاءمتها للظروف الطبيعية والمناخية، استعملت هذه المواد كل حسب الفئة التي قامت ببنائها، ولو أنها لم تختلف كثيرا بحكم تقارب فترة التشييد بينها.

## المسكن بقصور شمال الصحراء الجزائرية (الميزات الأثرية والمعمارية)

بنيت المساكن بالطوب ذو الحجم الكبير المصنوع محليا من الطين والرمل شكلها على العموم مستطيل بمقاسات تتراوح من 0,10 م و 0,15 م سمكا و 0,20 م عرضا و 0,40 م طولاً ، يكنى محليا الطين تشيد به أساسا الجدران الخارجية التي تسمى محليا بالحوط، سمكها غالبا ما يتراوح بين 0,40 إلى 0,60 م ، أما عن أساساتها ففي الغالب بنيت من الحجارة المتوسطة الحجم يتم الربط بينها بواسطة ملاط طيني حيث أن ارتفاعها لا يتعد الواحد متر .

كما استعملت الحجارة بأنواعها وبأشكالها الطبيعية دون صقلها، سواء على مستوى الأساسات أو على الجدران، يتم الربط بينها بواسطة مواد لاحمة كالطين، أو بتحضير خليط من الرمل والجير وبعض المثبتات العضوية أو المعدنية.

من خلال ملاحظتنا لهياكل مساكن القصور بالمنطقة يمكن حصر تقنيات البناء المستعملة فيها في أدية وشناوى والمداميك، إذا كانت مادة البناء هي الطوب، فاختيار هاتين التقنيتين يرتكز على نوعية ومقاسات قوالب الطوب ومساحة البناية، واستعمالهما يتطلب إعطاء سمك للجدار حتى يتحمل ثقل الهياكل، لعدم وجود مواد لاحمة قوية، وعدم استعمال مثبتات داخلية، مثل ما هو عليه في العمارة الحديثة باستعمال الحديد أو ما يصطلح عليه بالهياكل المعدنية (التسليح المعدني)، أما تقنيات البناء غير المنتظمة فتتماشى مع استعمال الحجارة كمادة بناء رئيسية.

أما عن تكسية الجدران فتتم بطريقة بسيطة حيث يحضر ملاط التكسية إما بالطين أو الجير أو خليط بينهما، في اغلب الأحيان يلصق بواسطة اليد وتتم تسويته على الجدران، وتتماشى مع مراحل البناء كما هو الحال في قصور الصحراء الجزائرية.

أغلب المساكن منخفضة في مستواها الأول حيث من النادر أن يتجاوز ارتفاع الأسقف 2.40 م من الداخل، أما عن المساحة الداخلية لفضاءات المسكن فغالبا ما تكون مربعة بقياس متوسطه يقدر ب 3.2 x 3.3 متر، وهذا راجع في أغلب الظن إلى ضعف مواد البناء من حيث المتانة لأنها لا يمكن أن تتحمل أثقالا على ارتفاعات كبيرة، إضافة إلى أنها لا يمكن أن تتماسك لمسافات تتجاوز 3.50 م .

نظام الدعم بالمساكن يعتمد على الدعامات المبنية بالطوب أو الحجارة والملاط الجيري تتوجها أحيانا أقواس متعددة الأشكال

## لبتر قادة ؛ بلقرنين عبد القادر

أما عن التسقيف فالمواد المستعملة أساسا هي النخيل (الجريد والجذوع) والقصب ونبات الدفلى في حال توفره، حيث أن حجم الفضائات داخل المسكن يتحكم فيه السقف الذي هو من جذع النخيل

### 4. الخاتمة:

من خلال ما سبق نستخلص أن جميع مساكن القصور الصحراوية بشمال الجنوب الجزائري تشترك في الخصائص والعناصر المعمارية الإنشائية المكونة لها كبقية المساكن في الشمال، لذلك تجدر الإشارة أن التخطيط الخارجي فيه اتفاق بين الجماعة رجوعا وقياسا على مبدأ لا ضرر ولا ضرار، لكن المساكن من الداخل تختلف حسب الساكن ومكانته الاجتماعية وقدرته المادية، أما القاسم المشترك بين كل المساكن هو الفضاء المكشوف إضافة إلى الشكل المستطيل الممتد طوليا نحو الداخل والخلو من الزخارف.

كما أن تصميم المسكن هو انعكاس لعادات وتقاليد أهل المنطقة، فهي توفر الراحة النفسية والحماية من العوامل الخارجية بفعل النسيج المنتظم ومواد البناء المحلية، فهي بذلك تبدي بساطة في التصميم ووحدة في المظهر وتناسقا وانسجاما بين الفضائات بالاعتماد على المركزية أو ما يسمى بوسط الدار أو الحوش.

يتكون المسكن في القصور الشمالية الصحراوية من مجموعة من المرافق، من أهمها الغرف والمخازن والكيف والسطح، وقد يكون من طابقين أو أكثر، حسب خصوصية كل منطقة، أما تنظيمه فهو خاضع لمبدأ الاحتساب الذي يطبقه المحتسب.

ويمكن القول أن أغلب المساكن تحتوي على أكثر من ثلاث غرف لكل دورها، والسطح الذي يعتبر فضاء ضروريا للاستفادة من مساحة المسكن لأغراض ونشاطات يومية، نظرا لصغر مساحته التي لا تتعدى في بعض الأحيان 50 متر مربع.

روعي في بناء المسكن معطيات المناخ الصحراوي وبمساحة لا تتجاوز مائة متر مربع كأقصى حد، ولا يتصل الطابق الأرضي بالفضاء الخارجي إلا من خلال فتحة أفقية، ليوفر بذلك عزل حراري جيد .

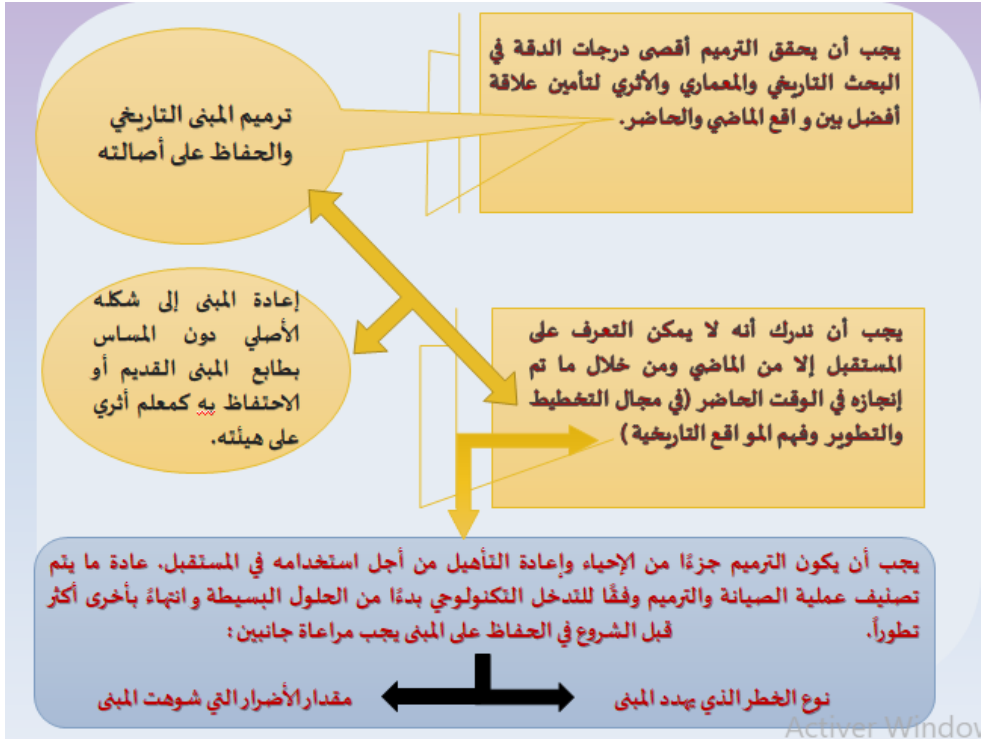
المساكن بالقصور الصحراوية تختلف من حيث فترات الإنشاء، إلا أنها تنتمي إلى نفس النمط المعماري، الذي لا يخرج في سياقه العام عن ما هو متعارف عليه مضافا إليه هندسة الغلاف الحجمي للعنصر وفق نظرة خاصة تجعله قادرا على الإنتاج والمقاومة والمناورة والقدرة على التجميع بين عدة

## المسكن بقصور شمال الصحراء الجزائرية (الميزات الأثرية والمعمارية)

خصائص، كي يخدم ويهيج الإنسان، وهذا ما يصطلح عليه البعض بالنظرية الوظيفية، أي أن سبب ومبرر وجود العمل المعماري بالصحراء هو الوظيفة أو المنفعة، وقد أَرخ بعضهم انطلاق هذه النظرية ببداية القرن العشرين، لكن جذورها الفكرية أقدم من ذلك بكثير، ويأتي أول مبدأ أساسي للوظيفة ما أطلقه لويس سوسو ليفان (الشكل يتبع الوظيفة). فلا بد أن يكون الشكل نتيجة طبيعية لتحقيق الوظائف، وهذا ما جسّد في قصور الصحراء الجزائرية، حيث أن الوظيفة تبعت الشكل، وهذا اعتمادا على مبدأ ملء الفراغ.

أما عن مواد وتقنيات البناء فهي متشابهة تقريبا، يكمن اختلافها في الاختلاف الجيولوجي للمنطقة التي بني بها المسكن، أي أن تكوينها الكيميائي مختلف بالنسبة لنفس مادة البناء، كما تختلف في تسميتها وتوظيفها في مستوى البناء.

وفي الأخير وجب المحافظة على هذا الإرث المعماري بالقصور الصحراوية الجزائرية، وفق مبادئ وأسس الترميم العلمي الممنهج، حيث نقترح إتباع أسس ومبادئ موحدة وطنيا تركز على العناصر المبيّنة في الشكل 04 أسفله.



الشكل رقم 04: المبادئ المقترحة لترميم وإعادة تأهيل المساكن بالقصور الصحراوية (من إعداد الدارسين)

## 5. قائمة المراجع:

### المؤلفات:

- ديوان حماية وترقية وادي ميزاب. تقرير عن الديوان ومهامه. غرداية.
- محمد الطيب عقاب. (2007). مساكن قصر القنادسة الأثري، دراسة معمارية وأثرية. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- مختار قرميدة. (2001). المساكن التقليدية بوادي ميزاب: دراسة فنية معمارية. غرداية: ديوان حماية وادي ميزاب وترقيته.
- يوسف بن بكير الحاج سعيد. (1992). تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية. غرداية الجزائر: المطبعة العربية.

## المسكن بقصور شمال الصحراء الجزائرية (الميزات الأثرية والمعمارية)

- André Ravéreau .(1981) .Le M'Zab, une leçon d'architecture .Paris: Edition Sindbad.
- Van der Meerschen Michel .(1987) .Les Médinas Maghrébines ,étude et documents sur un patrimoine culturel .UNESCO.
- Guy Bisson .Deux Maisons à Beni-Isguen (M'Zab), Etude comparative .ghardaia: Archive OPVM.
- Jean-Loïc Le Quellec .(2006) .Maison du Sahara, Habiter le désert .Paris: Edition hazan.
- Marcel Mercier .(1932) .La civilisation urbaine au M'Zab. Ghardaïa la mystérieuse .Alger: Editions P et G. SOU BIRON.
- Colomieu victor .(1862) .Voyage dans le sahara Algerien de Géryville à Ouargla, le tour du monde . ' le tour du monde.

### الأمطروحات:

- ارزقي بوخنوف. (2012). تشخيص الطوب المشكل لحيات كل قصري النزلة وتماسين ولاية ورقلة (دكتوراه في علم الآثار تخصص صيانة وترميم). معهد الجزائر.
- عمر زعابة. (2016). آليات وطرق حفظ وتسيير التراث المبني بواد مزاب (رسالة دكتوراه). جامعة تلمسان.
- محمد التريكي، خالد بوزيد. (دورة جوان 1989). مزاب بين الماضي والحاضر، المعمار والممارسة الاجتماعية رسالة لنيل شهادة الماجستير. المعهد التكنولوجي للفنون والهندسة المعمارية بتونس.
- محمد جودي. (2014). المسكن الاسلامي في القصور الصحراوية بالجزائر دراسة تحليلية مقارنة لقصور مزاب وورقلة، رسالة دكتوراه. قسم علم الآثار، جامعة تلمسان.

### المقالات:

- قادة لبتز. (2019). خصائص مواد العمارة الترابية بجنوب الجزائر؛ دراسة مادة الطوب من قصر موغل بالجنوب الغربي. مجلة جيل للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 53 مايو 2019، مركز جيل للبحث العلمي، لبنان، 63-80.
- محمد جودي، معروف بالحاج. (2012). النسيج العمراني لمدين وادي مزاب (المجلد 1). (مجلة منبر التراث الاثري) تلمسان: مخبر التراث الاثري وتثمينه.
- Bonete, Y. (1959). Contribution à l'étude de l'Habitat au M'Zab. Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord, n° 5 , 64.